The Relationship of Philosophy to Hegel's Scientific Culture

Dr.Monzer Shbani*
Nisren Ismael**

(Received 3 / 4 / 2024. Accepted 20 / 11 / 2024)

□ ABSTRACT □

This research explores the relationship between philosophy and science according to Hegel's philosophy, focusing on how the sci
entific nature of philosophy can be achieved through a comprehensive systematic framework. Hegel emphasizes that philosophical truth is only presented within an integrated logical system that reflects inclusivity and universality. The research examines the concept of philosophy as a science of the absolute idea and highlights Hegel's approach to connecting thought with reality through the notion of experience, which represents a pivotal point in understanding the relationship between philosophy and the sciences.

The study has been revised to address its weaknesses by incorporating a critical perspective on Hegel's system compared to modern experimental sciences and clarifying the challenges his philosophy faces in light of contemporary scientific developments, including sciences that rely on statistical and probabilistic models. Additionally, a comparative discussion between Hegel and other philosophers, such as Kant and Nietzsche, has been introduced to broaden the analytical scope and highlight points of divergence among them.

The research underscores the importance of Hegel's philosophy as a comprehensive framework for understanding the relationship between the particular and the universal, with a focus on the dialectical laws that drive thought and spirit towards self-realization in successive stages. It also discusses the distinction between philosophy and experimental sciences, referencing Hegel's principle of experience and how he addresses experimental subjects compared to reflective intellectual issues.

The study concludes with a critical analysis of Hegel's contribution to linking reason with the absolute, recommending an expansion of Hegel's philosophy to include its applications in the humanities and social sciences, thereby enhancing its academic value in contemporary contexts.

Keywords: Hegel - philosophy and science - systematic philosophy - dialectics - absolute idea - experience - reason and the absolute - systematic thought - experimental sciences - universal knowledge - contemporary philosophy - critique of Hegelian philosophy - scientific and philosophical development - German idealism - Hegelian methodology.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Professor. Department of Philosophy,Faculty of arts humanities,Tishreen University,Lattakia,Syria.**
** **Postgraduate Student,Department of philosophy,Faculty of arts humanities,Tishreen University, Lattakia, Syria.**

صلة الفلسفة بالثقافة العلميّة عند هيغل

د. منذر شباني*

نسرين اسماعيل**

(تاريخ الإيداع 3 / 4 / 2024. قبل للنشر في 20 / 11 / 2024)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث العلاقة بين الفلسفة والعلم وفقاً لفلسفة هيغل، مع التركيز على كيفية تحقيق علمية الفلسفة من خلال نسق علمي شامل. يُوضح هيغل أن الحقيقة الفلسفية لا تُعرض إلا ضمن نظام منطقي متكامل يعكس الشمولية والكلية. يناقش البحث مفهوم الفلسفة كعلم للفكرة المطلقة، ويستعرض منهج هيغل في ربط الفكر بالواقع عبر مقولة التجربة، التي تعد نقطة تحول مهمة في فهم العلاقة بين الفلسفة والعلوم.

تم تعديل البحث لتلافي نقاط الضعف من خلال دمج رؤية نقدية للنسق الهيغلي مقارنة بالعلوم التجريبية الحديثة، وتوضيح التحديات التي تواجه فلسفته في ظل التطورات العلمية المعاصرة، بما في ذلك العلوم التي تعتمد على النماذج الإحصائية والاحتمالية. كما تم إدراج مناقشة مقارنة بين هيغل وفلاسفة آخرين، مثل كانت ونيتشه، لتوسيع الأفق التحليلي وإبراز نقاط التباين بينهم.

ويبرز البحث أهمية فلسفة هيغل كإطار شامل لفهم العلاقة بين الجزئي والكلي، مع التركيز على القوانين الجدلية التي تدفع الفكر والروح نحو تحقيق ذاتها في مراحل متتالية. كذلك يناقش البحث التمايز بين الفلسفة والعلوم التجريبية، مستشهداً بمبدأ التجربة عند هيغل وكيفية تناوله للموضوعات التجريبية في مقابل القضايا العقلية التأملية.

اختُتم البحث بتحليل نقدي لمساهمة هيغل في ربط العقل بالمطلق، مع توصية بتوسيع دراسة فلسفة هيغل لتشمل تطبيقاتها في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مما يعزز قيمتها الأكاديمية في السياقات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: هيغل – الفلسفة والعلم – النسق الفلسفي – الجدلية (الديالكتيك) – الفكرة المطلقة – التجربة – العقل والمطلق – الفلسفة النسقية – العلوم التجريبية – المعرفة الكلية – الفلسفة المعاصرة – نقد الفلسفة الهيغلية – التطور العلمي والفلسفي – المثالية الألمانية – منهجية هيغل.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

** **طالبة ماجستير، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

مقدمة:

يتناول هيغل فكرة النسق في إطار فلسفته الكليّة التي تعبّر عن ذاتها على أنها غاية العلم وحقيقته المطلقة، فالفلسفة الهيغليّة لا بد أن تشكّل نسقاً علميّاً باعتبار أن موضوعها هو الفكرة أو المطلق إذ يبدو أن الفكر من حيث بنيته الخاصة هو مايتعيّن بذاته ولذاته فلا بد أن يكون عينياً في أساسه لذلك من الصحيح كما يرى هيغل أن الفكر هو مايعبّر عن ماهية الحقيقة التي هي بذاتها عينية، من هنا فقد تصوّر هيغل الفلسفة بأنها علم موضوعي بالحقيقة فلا يمكن بأية حال أن تكون تجميعاً لمعارف أو سرداً لآراء ذاتية، فما ستحاول الفلسفة الهيغليّة أن تبرهن عليه أنه كون الحقيقة في مضمار الفكر تمثل كُلاً شمولياً لذا لابد بالضرورة أن تتخذ هذه الفلسفة شكل الفهم النسقيّ على أساس من فكر الكليّة، باعتبار أن هذا هو الشكل الوحيد الذي من خلاله يتحقق العلم الفلسفيّ. في هذا السياق يسعى هيغل إلى بيان أن العنصر المكوّن لهذا العلم هو الواقع الفعليّ، أي لبُّ الحقيقة الذي يستند في أساسه على العقل، إذ إن وجود هذا العالم يتفق مع فكرته، وإذا حاولنا تفحصّ مقوماته وأركانه فإننا لابد أن نبدأ من خلال ما يسمى بالتجربة، وهذا ما يؤكد لنا أن تحليلات المثاليّة الهيغليّة لا يمكن أن تقف عند حدود الفكر الخالص وإنما تتعداها إلى مجال العالم الواقعي. وتأتي معالجة هيغل للكل الذي يشكّله هذا العلم في ثلاثة أقسام ويظهر بوصفه دائرة مغلقة في حد ذاتها، وكذلك العناصر الجزئية التي يشتمل عليها هذا الكل تؤسس دوائر فرعية وهي: المنطق وفلسفة الطبيعة وفلسفة الروح، وجميعها لحظات ضرورية تعبّر عن كليّة واحدة هي الفكرة، ولعلنا نجد أن الموضوع المباشر للفلسفة يستهدف البحث عن حركة الفكر نحو تحقيق كماله وفهم المراحل التي قطعها خلال عملية تطوره الذاتي وذلك وفقاً لمنطق الديالكتيك القائم على التناقض، وبهذه العملية يكشف هيغل عن الدور الفعّال للديالكتيك وحركته الشاملة في الفكر والوجود، فمن خلال هذا النظام الشامل استطاع أن يؤسس فلسفته النسقيّة العامة والتي استطاعت هي الأخرى أن تقيم نظاماً حياً من القضايا التأمليّة المترابطة. والسؤال الذي يشغلنا في هذا البحث إنما يتعلق بتعقب الفحص عن الحقيقة الفلسفية التي هي موضوع الفلسفة الهيغلية بكاملها، وقد ظهر ذلك جلياً في آراء هيغل حول مفهوم التجربة التي تتعلق بالمقام الأول بالفلسفة، ومن هنا فإنه يبيّن أوجه الاتفاق والاختلاف بين الفلسفة والعلوم الطبيعية التي تجعل من التجربة نقطة بداية لها، وقد أوضح هيغل أن هذه العلوم تختلف عن الفلسفة من ناحية رئيسة هي أن جملة الموضوعات التي تتناولها من حيث نطاقها ومضمونها متناهية ومن ناحية أخرى يكمن الاختلاف في صورة العلم، أي منهجه وهذا ما ركز هيغل اهتمامه عليه.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث كونه يحدّد معالم مشروع تحقيق العلم الفلسفيّ عند هيغل، والذي بدوره يحقق فهماً جديداً للفلسفة ونسقيتها على مستوى تصوّر هيغل لحدود العقل والمطلق.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن المقوّمات الذاتيّة للفكرة في سياق فلسفة المعرفة والعلم التي يتناولها هيغل، ودور النسق في بناء منظومة الفكر المنطقيّة الذي عليه يمكن أن تتحقق فكرة علميّة الفلسفة، كما يهدف إلى فحص الوقائع التجريبية كما تفصح عنها الفلسفة.

منهجية البحث:

استعنا في هذا البحث بالمنهج النقدي التاريخي باعتبار أن موضوع البحث اقتضى دراسة بعض المفاهيم في تشكلّها ضمن الظروف التاريخية.

النتائج والمناقشة

أولاً: الفلسفة بوصفها علماً

لعل البحث في مفهوم العلم عند هيغل يقودنا إلى تحديد طبيعة الفلسفة وكيف نظر إليها، وفيما إذا كان قد قدَّم تعريفاً جديداً للفلسفة يتناسب مع طروحاته الفلسفية، وبالفعل فإننا نجد أن سياق الحديث عن علاقة الفلسفة بالعلم يتحدث عن فكرة النسق وكيف تظهر الحقيقة بين حقلي الفلسفة والعلم فهو يقول:"إن الحقيقة لا يمكن أن توجد على وجهٍ آخر سوى النسق العلمي الذي تنتظم فيه والمشاركة في هذا الجهد تقريب الفلسفة من صورة العلم تلك الغاية التي ببلوغها يحلُّ للفلسفة أن تطرح اسمها من حيث هي محبة الحكمة لتصبح كمال المعرفة بالفعل ،هي غايتي هنا".[1]

ومادام هيغل يرى أن الحقيقة تأخذ شكل الحق لذا عمل على إنتاج نسق في علم الفلسفة، باعتبار أن النسق هو الشيء الوحيد الذي يكون حقيقياً ولعلنا بهذا المعنى أمكننا القول مع كوجيف " إن الفلسفة العلمية هي بالضرورة نسقية"[2]،وبطبيعة الحال إذا تصورنا الفلسفة على هذا النحو بما هي العلم الأساس فإنها لن تتمكن من عرض قضاياها إلا ضمن شكل نسقي من أجل التوصل إلى البراهين لتكون أكثر إقناعاً ووضوحاً، وبالتالي لكي تعبّر عن بنية العقل النّسقية، وفي ذلك يمضي هيغل في مناقشته لعلاقة الفلسفة بالعلم إلى الحد الذي جعل من هذه العلاقة وكأنها اتحاد عضوي بين كل من الفلسفة والعلم فهو يوضح ذلك بقوله:" مالم تشكّل الفلسفة نسقاً فإنها لن تكون نتاجاً علمياً ،فالتّفلسف غير النّسقي لا يمكن أن نتوقع منه سوى أن يكون تعبيراً عن خصائص شخصية خاصة للّعقل دون أن يتضمن مبدأ ينظم مضمونه ، إن خصائص الفلسفة لن يكون لها قيمة اذا ما صرفنا النظر عن الاعتماد المتبادل والوحدة العضوية في النّسق".[3]

وفي تقديم هيغل لنص فينومنولوجيا الروح الذي نشره في الجريدة العامة للآداب عام 1807 نراه يشدّد على أن الطّريقة التي تتبين فيها الحقيقة الفلسفية لا يمكن ان تتحقق إلا في صورة نسق علمي مكتمل، لأن الحقيقة هي في ذاتها مجموع الفكر وشموله، فلا بد أن ترتبط أجزاء المعرفة ارتباطاً عقلياً في وحدة منظمة ومتجانسة ، وعلى ذلك فقد شكّل هذا النص بداية حقيقية لتفلسفٍ رصين، فهو قد اندرج في رأس منظومة هيغل الفلسفية والفكرية ،وهذا ماجعل من الظاهريات فاتحة علمية لنسق العلم باعتراف هيغل نفسه وقد أشار إلى ذلك بقوله:" إن فينومنولوجيا الروح ليست مجرد توطئة وإنما هي فاتحة علمية تُضاهي علمية النّسق نفسه، بل تكاد تكون في حد ذاتها نسقاً برأسه، مادامت تُنتج هي نفسها مفهوم العلم".[4]

---

[1] **هيغل،جورج فريدريش. علم ظهور العقل، ت: مصطفى صفوان، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2001 ، ص13.**

[2] **كوجيف، الكسندر. مدخل لقراءة هيغل، ت: عبد العزيز بومسهولي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017،ص68.**

[3] **هيغل،جورج فريدرش. موسوعة العلوم الفلسفية، ت: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007،ص70.**

[4] **هيغل،جورج فريدريش. فينومينولوجيا الروح، ت: ناجي العونلّي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2006،ص71.**

وربما نجد أن رغبة هيغل في تحويل الفلسفة إلى علم قد اقترنت بجهده الكبير في ضرورة الإبتعاد عن المعارف الجزئية، والسّير في اتجاه معرفة شاملة من حيث إن الفلسفة لاتدرس وقائع جزئية، بل تدرس الكل (أي أفكار شاملة بتعبير هيغل) لكي تكون موضوعات مناسبة للفلسفة. وهنا يتناول هيغل التجربة بوصفها الطريقة التي يتم بواسطتها الانتقال من معارف مجزئة مستقلة إلى النسق، ونسق الفلسفة عند هيغل من حيث هو نزعة شمولية كاملة مكوّن من موضوعات وأجزاء ترتبط فيما بينها ارتباطاً صارماً، إذ إن كل جزء يرتبط بواسطة الكل ويساهم فيه ويحدّد الكل طبيعة كل جزء، وهكذا أثبت أن المضمون الحقيقي للتجربة هو الكل ، ونحن نعتقد أن نظرية هيغل في التاريخ الفلسفي هي مثالٌ واضحٌ للعلاقة بين الجزئي والكلي ، فالتاريخ بالمعنى الهيغلي لا يمكن أن يكون مسرحاً لمذاهب ونظريات وتصورات كل منها يقوم بذاته مستقلاً عن غيره، لأن الفلسفة في هذه الحالة ستغدو علماً مملاً لا لزوم له "بل إن هناك في رأي هيغل تيار فلسفي متصل ومتدفق يعبّر عما يمكن أن نسميه بالفلسفة الكليّة العامة ، وليست المذاهب الفلسفية المعروفة سوى صور منها".[5]

من الجوانب التي لم يُركز عليها البحث هي استجابة فلسفة هيغل للعلوم التجريبية الحديثة. فعلى الرغم من اعتماد هيغل على مبدأ التجربة كوسيلة للانتقال من الجزئي إلى الكلي، إلا أن تطور العلوم التجريبية في عصرنا كشف عن نقص في توافق هذا المبدأ مع طبيعة العلوم المعاصرة، التي تعتمد بشكل متزايد على النماذج الإحصائية والمناهج الاحتمالية. لذا فإن مراجعة فلسفة هيغل من منظور هذه التطورات يمكن أن يساهم في تعزيز علاقتها بالعلوم الحديثة.

انطلاقاً من هذه الرّؤية للمذاهب الفلسفية المتكثّرة والمتنوّعة التي ظهرت طوال تاريخ الفلسفة يبدأ هيغل تشييد نسقه الفلسفي من خلال محاولاته الرّامية لإثبات أن هناك فلسفة واحدة حقيقية ، الفلسفة الأكثر تطوراً وثراءً، والتي استطاعت أن تشمل مبادئ الفلسفات كلها وتحتفظ بجوهرها ، بهذا المعنى لعلنا نجد أن جميع المبادئ الجزئية التي تعاقبت في المسار الفلسفي طوال التاريخ لم تكن إلا فروعاً لعين النسق الكلّي الواحد، ويمكن أن نشرح ذلك كما أوضحه وليم ولاس w.wallace عندما يقول "إن مايريد هيغل أن يقوله ليس جديداً ولا هو مذهباً خاصاً وإنما هو فلسفة كليّة عامة تداولتها الأجيال من عصر إلى عصر تارة بشكل واسع وتارة بشكل ضيق ولكن جوهرها ظلَّ هو هو لم يتغير وقد ظلت على وعي بدوام بقائها فخورة باتحادها مع فلسفة أفلاطون وأرسطو".[6]

يمكن تعزيز النقاش من خلال مقارنة فلسفة هيغل بفلاسفة آخرين مثل كانت أو نيتشه، الذين يطرحون رؤى مختلفة حول العلاقة بين الفلسفة والعلم. على سبيل المثال، في حين يركز هيغل على النسق والكلية، يؤكد نيتشه على تفكيك المفاهيم التقليدية وإعادة التفكير في القيم العلمية والفلسفية. مثل هذه المقارنات توسع أفق البحث وتمنحه طابعاً تحليلياً شاملاً.

تظهر الفلسفة الهيغلية كإطار نظري يهدف إلى تقديم مفهوم الكلية من خلال مقولة الوجود، التي تشكل الأساس الأولي لهذه الفلسفة، وصولاً إلى ذروة العلم المطلق. لكن هذا التصور يواجه تحديات معاصرة تتعلق بقدرته على التعامل مع المعرفة الجزئية أو العلوم التجريبية، التي تتعارض أحياناً مع مبدأ الكلية وهي اللّحظة التي تعبّر عن مذهب هيغل بالكامل، هذا الكل الفلسفي لايمكن أن يُفهم في سياق فلسفة هيغل بوصفه شمولاً لأجزاء معزولة من المعرفة متناثرة، بل

[5] إمام، إمام عبد الفتاح. دراسات هيغلية، دار الثقافة، القاهرة، دط،1984،ص352.

[6] ستيس، ولتر. فلسفة هيغل،المنطق وفلسفة الطبيعة،المجلد الأول، ت: إمام عبد الفتاح إمام، تقديم زكي نجيب محمود،دار التنوير، بيروت، ط3، 2007، ص15.

يُعرض بوصفه جملة شاملة عضوية من المفاهيم والمبادئ التي تشكّل علماً واحداً ضمن علاقة نسقية وفي هذا الشأن يقول هيغل: "كل جزء من أجزاء الفلسفة هو بدوره كلٌّ فلسفي فهو يشكّل دائرة مغلقة على نفسها مكتملة بذاتها".[7]

وكثيراً ماكان هيغل يحدّد مفهومه للفلسفة بأنها معرفة الفكرة نفسها أو هي علم الفكرة من حيث إن الحقيقة النهائية لكل الأشياء إنما يمثلها الفكر وحده فهو يؤكدّ ذلك بقوله "الفكرة هي الحقيقة والحقيقة وحدها"[8]، فلا مفر إذن من اعتبار الفكر المبدأ الكلّي الحقيقيّ لكل وجود طبيعيّ وروحيّ بمصطلحات هيغل نفسه، والفلسفة من حيث هي كليّة تفكّرية تتحدّد مهمتها عبر تتبع تطور الفكرة بكل أطوارها ولحظاتها ، وإذا تأملنا بصورة استرجاعية مذهب هيغل بالكامل، نجد أنه قد قسّم فلسفته الكليّة إلى ثلاثة أجزاء أو لنقل ثلاث دوائر التي هي بمثابة لحظات ضرورية للتعبير عن الكل الذي هو (العلم الفلسفي) وبالرغم من أن الفكرة تظهر بوضوح في كل دائرة إلا أنها تتجلى عن طريق نسق هذه الأطوار الجزئية ،من هنا فإن العلم ينقسم إلى ثلاثة أجزاء:

"المنطق: وهو علم الفكرة في ذاتها ولذاتها

فلسفة الطبيعة: وهو علم الفكرة في آخرها

فلسفة الروح: وهو علم الفكرة وقد عادت إلى نفسها من ذلك الآخر".[9]

ثانياً: مضمون الفلسفة:

يأخذ توصيف هيغل لمفهوم المعرفة الفلسفيّة شكل الفكر الخالص الذي لابد أن يُفهم بالمعنى الحقيقي بأنه فكر قادر على التّعبير عن الحقيقة الجوهريّة لكل مايوجد في عالم الطبيعة والروح، بل إنه يمتد ليشمل الوجود كلّه ويصبح الأساس لكل شيء، والفكر بما هو الجوهر الكلّي لما هو روحيّ يُعرف من خلال تعيين ذاته بذاته، وبالتالي لم يعد مجرداً، بل ينسب لنفسه مضموناً، وإلى جانب ذلك فالفكر الذي صار فاعلاً وقادراً على إبداع نفسه يُعبّر عنه على نحو أدق بأنه الماهيّة التي تشمل بدورها جميع تصوّرات الفكر وتعييناته. وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم أن تفسير طبيعة الفكر تقودنا إلى معرفة الموضوع الذي تعنى به الفلسفة والتي ستعبّر عن ذاتها كما هي في حقيقتها على أنها الفكر أو بدقة أكثر على أنها الفكرة "فالفلسفة هي معرفة الفكرة نفسها لأن ما يُعرف هو الفكرة وما يُعرف أعني العقل الفلسفي قد انفصل الآن عن الحسّي فهو فكر خالص أو هو الفكرة".[10]

فيما يبدو أن موضوع الفلسفة لابدّ أن يكون ملازماً للفكر ذاته الّذي يحقق نفسه تحققاً كلياً في الوجود الفعلي، وعلى هذا النحو يتعين مضمون الفلسفة بوصفه الفكر الذي يتخذ لذاته موضوعاً أو الفكرة التي تفكّر في نفسها وعلى ذلك "فالفكر الذي يفكّر في نفسه هو روح يعرف نفسه بوصفه روحاً وطبيعة من حيث أنها تجلّ له ومن حيث أنها تموضع له وشرط لوجوده العينيّ بوصفه روحاً، إنه المطلق الذي يعرف ذاته بوصفه شمولاً"[11]وحينئذٍ يبدو الفكر بموجب طبيعته الكليّة

---

[7] هيغل،جورج فريدريش. موسوعة العلوم الفلسفية ، ص 71.

[8] هيغل،جورج فريدريش. محاضرات في تاريخ الفلسفة،مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها، ت: خليل أحمد خليل ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986،ص87.

[9] هيغل،جورج فريدريش. موسوعة العلوم الفلسفية ، ص76.

[10] ستيس،ولتر. فلسفة هيغل ،فلسفة الروح، المجلد الثاني،ت:إمام عبد الفتاح إمام، تقديم زكي نجيب محمود،دار التنوير، بيروت، ط3، 2005، ص202.

[11] كوبلستون،فردريك. تاريخ الفلسفة المجلد السابع من فشته إلى نيتشه، ت:إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص289.

بوصفه يمثّل حقيقة الروح المطلق على نحو ماهو موجود عليه بالفعل الذي في حقيقته يُنظر له على أنه يمثّل الغاية النهائية التي يسعى إليها مسار العلم الفلسفي.

يشير هيغل في كثير من كتاباته –النظرية كما التاريخية– إلى أن مهمة الفلسفة تقوم على فهم الواقع والكشف عن العنصر العقليّ الكامن فيه، ولما كان الواقع يشكّل المسار الضروري الذي يتم من خلاله التجلي الذاتي للفكر، لذلك تسعى فلسفته للوصول إلى ضرب من التوحيد بين الفكر والواقع، وهنا في ذروة المثاليّة الهيغليّة نجد أن كل ماهو موجود بالفعل لا يكون كذلك إلا بقدر ما يعبّر عن الفكرة التي هي الحقيقة في ذاتها ولذاتها، بل كل ماهو حقيقي إنما يتحدد بالقياس إلى فكرته، ويفترض المذهب الهيغليّ أن كل ماهو معقول واقعي وكل ماهو واقعي معقول، ومسلمته الأولى هنا هي أن العقل لديه من القوة ما يجعله يتحقق بالفعل، وبذلك يصبح الواقع تجسيداً للعقل في الوقت نفسه وكل مافي الوجود إنما يفسَّر بالعقل وحده، وهكذا فالفلسفة تصل إلى منتهاها عندما تُنشئ عالماً معقولاً قوامه الفكر بحيث يصل العقل إلى إدراك ذاته وسط هذا العالم ويُعرب هيغل عن هذه الفكرة بقوله " الغاية النهائيّة التي يهدف إليها العلم الفلسفيّ من خلال التحقق هذا هي الوصول إلى ضرب من التوحيد بين العقل الواعي لذاته والعقل الموجود في العالم أو بعبارة أخرى الواقع الفعليّ ".[12]

من العلامات المميزة لفلسفة هيغل أنها سعت إلى تفسير كل مافي الوجود تفسيراً عقلياً على اعتبار أن العقل –ضمن صياغته للمثالية– هو الحقيقة الضرورية التي توجّه الفلسفة في مسارها ونموها، ولا ريب أن هيغل كثيراً ما يماهي بين الفكرة والعقل وانطلاقاً من تصوّره الخاص للفكرة بأنها المعرفة الكليّة المطلقة، وهي في الوقت نفسه الحق في ذاته ولذاته لذا لا يلبث هذا العقل أن يُدرك أن الفكرة هي التي تمثّل حقيقته المطلقة " هذا يعني أن الفكر هو الكليّ الحقيقيّ في كل ما تنطوي عليه الطبيعة والروح وهو متحد فيما وراء كل شيء وبالتالي فهو الأساس لكل ما عداه فالفكر بمعناه الموضوعيّ هو العقل أو النوس ".[13]

وإذا كانت فلسفة هيغل تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي المنطق وفلسفة الطبيعة وفلسفة الروح فإننا نجد أن موضوع هذه الفلسفة بكاملها هو العقل في أحواله وصوره المختلفة، بل إن المضمون الأساسيّ لهذه الفلسفة يستهدف البحث في التعيينات المطلقة للعقل على نحو ما يتناوله هيغل في مراحله الثلاثة، التي تبدو بمثابة لحظات ضرورية تشكّل سلسلة من التّطور الروحي الفعلي إذ يكشف هيغل عن تلك العملية التي يقوم بها العقل حتى يبلغ تحققه الذاتيّ الكامل ويصل إلى تمام المعرفة بنفسه، وذلك يتم عندما يتغلب على الهوّة التي تفصل بينه وبين حقيقته الواقعية. ويعرض علينا المنطق التعيينات الفكريّة التي تشكّل البنية الجوهرية للعقل بغية الكشف عن النسيج الذي يتألف منه هذا العقل، ويتموضع المنطق في ثلاث مراحل وهي: الوجود، الماهية، الفكرة الشاملة. وفي مقابل المنطق الذي تكون فيه الفكرة كما هي في ذاتها في ماهيتها الأزلية تقف الطبيعة حيث تخرج هذه الفكرة من ذاتها لتنتقل إلى العالم الخارجي، وعلى ذلك فإن الطبيعة لا تدرس الأنماط الخالصة للفكر كما هو الحال في المنطق وإنما أشياء متحققة في عالم الحس متحيزة في المكان مثل المادة والنبات والحيوان، ويميز هيغل ثلاث مستويات في فلسفة الطبيعة وهي: عالم الآليات، العالم الفيزيائي والعالم العضوي. ويعود العقل إلى ذاته في فلسفة الروح بعدما أن كان مغترباً في عالم الطبيعة إذ يمارس العقل نشاطه الخاص داخل الواقع من خلال الفن والدين والفلسفة، وعلى ذلك يتعيّن العقل ويحيا وسط التاريخ

[12] **هيغل،جورج فريدريش. موسوعة العلوم الفلسفية ص51.**

[13] **سلامة، يوسف. مفهوم السّلب عند هيغل، المجلس الأعلى للثقافة،2001،ص38.**

بوصفه روحاً واقعياً وبواسطة هذا التعيين يصل الروح إلى عنصره النقيّ ويتم بلوغ المطلق، وتضع فلسفة الروح ،على نحو ما تناولها هيغل، في أشكالها الثلاثة التي هي على التوالي: الروح الذاتي والروح الموضوعي والروح المطلق.

إن مناقشة نشاط العقل وتطوره الذاتي الخاص تكشف لنا عن البعد الجدلي لتكوّن هذا العقل، إذ يظهر في أوضاع وأشكال مختلفة عبر مسار طويل إلى أن يبلغ صورته الكاملة ويغدو روحاً يعرف نفسه، ويبدو الجدل حركة انتقال ثلاثية يتم بمقتضاها انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ثالثة ناتجة عن النقيضين وتنطوي هذه العملية على عنصر هام وهو السّلب الذي يشكّل العلة الحقيقية والحافز للانتقال من مرحلة إلى أخرى، وهكذا تبدو الأقسام الثلاثة التي أشرنا إليها سابقاً " الفكرة المنطقية والطبيعة والروح تشكّل مثلثاً واحداً ويدرس المنطق الفكرة كما هي في ذاتها وهذه هي القضية أما الطبيعة فهي الفكرة في الآخر وهي ضد الفكرة في ذاتها وهذا هو النقيض أما الروح فهي وحدة الفكرة والطبيعة وهذا هو المركبّ ".[14]

وإن كان المذهب الهيغلي يسير على إيقاع ثلاثي نلتقي به في تمام النسق كله، إلا أن هيغل يخشى أن يقتصر فهم جدله على تلك الأشكال الثلاثية لأن في ذلك تبسيط يُخل بقيمة هذا الجدل وماله من أهمية بالغة في فلسفته، إذ ليست ماهية الجدل مجرّد عرض لأشكال فكرية ثابتة تعبّر عن جمود العقل، بل يهتم بالكشف عن الطبيعة الجوهرية للروح وحركته الشاملة في الوجود والتاريخ وهذا ما يسمح لنا بدراسة وتحليل قوانينه النوعية الخاصة التي تؤسس فلسفة علمية حقيقية، ومن خلال هذا التحذير المباشر يعلّق أحد الباحثين بالقول "إن هيغل نفسه يعترض على الثلاثية الظاهرية لمنهجه ويحذّرنا من هذا التبسيط المخل ويذكر أن كون الشكل الكلي للمنهج يتخذ شكلاً ثلاثياً هو على أية حال شكل كليّ مجرّد للجانب السطحيّ والخارجيّ لطبيعة المعرفة ".[15]

ومن خلال هذا الطرح أمكننا القول إن التصور الفلسفي لدور العقل والمطلق وفيما يخص دلالتهما في سياق الفلسفة الهيغليّة قد تأسس بالاعتماد على منطق الجدل أو الديالكتيك كما يفهمه هيغل والذي بدوره يستلزم الانتقال وفق نمو متدرج من الفكر إلى الطبيعة وصولاً إلى العقل، كما يعبّر عن صيرورة الروح خلال عملية تجليه الذاتيّ في الطبيعة والتاريخ، ومن الأهميّة البالغة أن نعرف أن المنطق هو السبيل الوحيد الذي يكشف عن النشاط الكليّ الذي يمارسه الفكر بغية فهمه وتفسيره واكتشاف ما يخضع له من القوانين التي تشكّل مبادئ علمية ضروريّة للمعرفة، ولذلك فالمنطق الهيغليّ لا يمكن أن يكون بالمعنى الذي يشيع في أذهان الكثيرين، أي مجرد دراسة لقواعد وصور الفكر الفارغة فحسب كما يزعم أنصار المنطق الأرسطي قديماً، بل هو ذلك العلم الخاص الذي يتعمّق البحث في بنية الفكر الخالص ويحلل المضمون الذاتيّ للعقل الذي يتعيّن في العالم الواقعيّ كاشفاً عن الحركة الثلاثية الديالكتيكية الكامنة في أعماق الوجود، وهكذا يبدو لنا "أن ديالكتيك هيغل هو عبارة عن نظام من التعيّنات الخالصة للفكر وسائر العلوم الفلسفيّة الطبيعيُة أو العقليّة الذي جعله يكتسب أهميّة قصوى في علاقته المباشرة بأشكال الفكر ومضامينه وهو ما أهلّه أيضاً لأن يكون منهجاً فلسفياً قويماً شاملاً للوجود وفي نفس الوقت يصلح أن يكون موضعاً خصباً للمعرفة والعلوم نتيجة خصوبة مباحثه وتفرّعاته وتسلسل مفاصله المعرفيّة كونه لم يعد إطاراً منطقياً بالمعنى التقليديّ وإنما أصبح نظاماً محايثاً في الظواهر الطبيعية والروحية التي يحدّد ذاتها المضمون الفكري للعقل وتجلياته".[16]

---

[14] **ستيس،ولتر. فلسفة هيغل ، المنطق وفلسفة الطبيعة،ص 123.**

[15] **مجاهد عبد المنعم مجاهد. هيغل قلعة الحرية، سعد الدين للنشر، القاهرة، 1985، ص20.**

[16] **مونيس، بخضرة. تاريخ الوعي مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دط،دت.**

ثالثاً: التجربة ما بين الفلسفة والعلم:

من الأهمية أن نلاحظ فيما يتعلق بطريقة هيغل، عند تناوله لأي علم والذي من شأنه أن يكون العلم الحقيقيّ، أنه يسعى دوماً إلى تقديم تفسيرات عقليّة تُبرز ضرورة وجود مواضيع هذا العلم وخصائصه وكذلك الكيفيّة التي يمكن أن يتحقق بها ذلك العلم، وتلك كانت البداية التي افتتح بها هيغل مجمل نصوصه إذ يشرع في موسوعة العلوم الفلسفية بتحليل مضمون المعرفة الفلسفيّة ويكشف عن الصورة التي تحدّد بناءها الفكري الخاص، فلقد بيّن لنا هيغل أن عنصر الحقيقة هو الفكرة بكل تعيّناتها وأشكالها باعتبارها الواقع في مجمله، وكل لحظة من لحظات الفكرة ترتبط ضمن علاقة منطقية ببقية المفاهيم والتي يعكس نظام تسلسلها الصياغة النسقية لعلم الفلسفة، ولعل الشكل الحق الذي اتخذه هيغل للتوفيق بين الفكرة والواقع هو مبدأ التجربة، إذ إن الفكرة لا تبلغ حق الوجود إلا إذا تحققت في الواقع الفعليّ، ولذلك فقد انصبَّ جهده بيان كيفية إعمال العقل ضمن المجال الواقعيّ، فقد كان من أهم أدوار الفلسفة لديه أنها تقوم على إدراك الحاضر استناداً إلى مفهوم العقل نفسه، أما المفهوم الذي يشتمل على هذه الطريقة فهو التجربة. إن مبدأ التجربة من الوجهة الفلسفيّة يؤكد على اتصال ذات الفيلسوف مع الوقائع بشكل مباشر عن طريق أدواته المعرفية التي تمكّنه من تناول هذه الواقعة وتفسيرها فهو يقول "إن علينا أن نبحث عن الواقعة في ارتباطها وتوحدها مع يقين ذواتنا الخاصّة وعلينا أن نتصل بموضوعنا مباشرة سواء أكان ذلك عن طريق الحواس الخارجية أو عقلنا الأكثر عمقاً ووعينا الذاتيّ العميق وهذا المبدأ هو نفسه ما نجده في يومنا الحاضر تحت اسم الإيمان والمعرفة المباشرة أو الوحي في العالم الخارجي وقبل كل شيء في قلبنا نحن ".[17]

وفي المقابل ينبغي علينا فصل الفلسفة عن العلوم الأخرى التجريبية التي لحقت بها وقد أشار هيغل في هذا السياق إلى أنه لم يستقر لفظ الفلسفة سابقاً على معنى محدّد، فقد جرت العادة إطلاق اسم الفلسفة على جميع المعارف والأعمال التي ظهرت آنذاك، وفي هذا الصدد يشير هيغل الى إسهامات إسحاق نيوتن في الفيزياء والتي ترتكز على الطبيعة والقوانين الخاصّة بها فقد سُميت الفلسفة، بل إن نيوتنNewton نفسه أطلق على مؤلفه الذي وضع فيه قوانين الحركة الميكانيكية اسم ﴿ المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية* ﴾ ، وإلى جانب ذلك نجد أن بعض النظريات التي كانت تُعنى بدراسة العلاقات الدّولية وفحص علاقات الدّول تجاه بعضها البعض سُميت بفلسفة القانون الدّولي* كما صاغها هوجو جروتيوسHugo Grotius . وعلى العموم فإن اسم الفلسفة في تلك الفترة أُستخدِم في مجال الاقتصاد والسياسة والتجارة أيضاً وتلك هي الحال نفسها بالنسبة إلى الأدوات العلمية التي صُنعت في ذاك الوقت على سبيل الترومتر **Thermometer*** والبارومتر **Barometer***

وغيرها وتلك أمور تجريبية بالمقام الأول أكثر بكثير من أن توصف بأنها أدوات فلسفية. ثم يمضي هيغل إلى عصر نهضة العلوم إذ ينقد معارف ذلك العصر سعياً منه لإبراز الحقيقة الفلسفيّة ومن هنا يعارض الفلسفات الماديّة والتجريبيّة من حيث إنها تجعل الحقائق النهائيّة قائمة في العالم الخارجيّ مستمدّة صحتها من التّجربة، لذلك فمواضيع بحثها تجريبيّ في أساسه لا يتعدّى حدود أشياء الفهم المتناهية، ولعلنا نلمس في فلسفة هيغل استعمالاً خاصاً لكلمة التّجربة

---

[17] **هيغل،جورج فريديش. موسوعة العلوم الفلسفية، ص57.**

***هامش موسوعة العلوم الفلسفية، ص58.**

***موسوعة العلوم الفلسفية، ص58.**

* **الترومتر Thermometer: ميزان الحرارة، موسوعة العلوم الفلسفية ص58.**

* **البارومتر Barometer: مقياس الضغط الجوي، موسوعة العلوم الفلسفية ص58.**

كما بدا ذلك واضحاً في دراسته لكتاب ظاهريات الروح وفي أثناء تعقّبه لصيرورة الروح عبر التاريخ، يفسّر أن الوعي لابد أن يمر بالتجربة من أجل الوصول إلى العلم. ومن جانب آخر يرى هيغل أن الفلسفة تقوم على جملة تصورات عقليّة تأمليّة وتتناول قضايا كالشيء في ذاته والنفس والحريّة التي لا يمكن بأية حال أن يُبَرهن عليها بالتّجربة. وعلى هذا الأساس نستطيع أن نكشف مع هيغل نقائص العلم التجريبي من ناحيتين " فهناك من ناحية دائرة موضوعات أخرى لا تشملها وهي الحرية والروح والله فهذه موضوعات تنتمي إلى ميدان مختلف لا لأن لا علاقة لها بالتّجربة كما قد يُقال إذ على الرغم من أننا يقيناً لا نخبر هذه الموضوعات بحواسنا فإننا نستطيع أن نقول بصفة عامة إنه أياً ما كان في وعينا فإننا نخبره وهو نفس الشيء وإنما السبب الحقيقي الذي يجعلنا نحدّد ميداناً آخر هو أن هذه الموضوعات من حيث نطاقها لا متناهية.[18]

وتختلف تلك المعارف عن الفلسفة من زاوية صورة العلم، إذ لا بد أن العلوم التجريبية اتخذت لنفسها منهجاً يتناسب مع طبيعة موضوعاتها لكننا نجد أن جميع المبادئ التي يشتمل عليها يردّها إلى كليات هي قضايا وقوانين عامّة لا تعرض الارتباط الضروري بين الأشياء، وكذلك نجد أن المنهج التجريبيّ يقيم وجود موضوعاته على مسلمات غير مبرهن عليها على عكس الفلسفة التي لايمكن أن ترتبط بدايتها بمواضيع يُسلّم بها الوعي، وإنما تسعى دوماً إلى البرهنة وإبراز الضرورة العقليّة لموضوعاتها وعلى ذلك يرى هيغل أن " منهج العلم التجريبي يكشف عن نقيصتين: الأولى هي أن المبدأ الكلي أو المبدأ العام الذي يتضمنه الجنس أو النوع..الخ هو بذاته غامض وغير متعيّن ولهذا نجد أن المبدأ لا يرتبط بالجزئيات أو التفصيلات فكل منها خارجي وعرضي بالنسبة للآخر وتلك هي الحال نفسها مع الوقائع الجزئية التي تجمّعت في وحدة واحدة فكل منها خارجي وعرضي بالنسبة للآخر أما النقيصة الثانية فهي أن البدايات التي يبدأ منها هذا المنهج هي في كل حالة معطيات ومسلمات لا هي مفسرة ولا هي مستنبطة وفي كل من هاتين النقيصتين تنعدم صورة الضرورة ".[19]

لقد تقرّر في نظر هيغل أن العلوم التجريبية تعارض النتائج التي تنتهي إليها المعرفة الفلسفية، ولعل ذلك يرجع إلى أن الحقائق المألوفة في تلك العلوم تقتصر على دائرة المتناهي فهي تستند في أساسها إلى كل ماهو معطى فتجعل من الواقع معياراً ثابتاً للحقيقة، ومن الصحيح أن موقف الفلسفة بالنسبة إلى هيغل يختلف اختلافاً كلياً، إذ لا يمكن للفيلسوف أن يتلمّس الحقيقة في التّجربة ولكنه بالرغم من ذلك يحاول أن يُدرك جملة العناصر الكليّة التي تشتمل عليها وقائع التّجربة بما فيها من قواعد ونظريات وقوانين ويضيف مقولات أخرى تتسم بالشمول والكليّة إلى حقائق هذا العلم، وقد رأى هيغل أن الروح المطلق في سعيه نحو تحقيق كماله قد يكشف عن نفسه في موضوع حسيّ ولكن لا يمكن لهذا الروح أن يُدرَك نهايةً عن طريق الحواس وإنما يتعيّن ويصبح موضوعاً لذاته وفقاً للفكرة، وهذا ما يفسر قول هيغل " العلم من حيث هو علم منطو على ذاته يستند إلى معرفة الروح ولا يقوم على أي علم جاهز معطى فهذا النشاط الخاص بالروح هو اللحظة المحددة تماماً التي يشترك فيها العلم مع الفلسفة ".[20]

[18] **هيغل،جورج فريدريش. موسوعة العلوم الفلسفية، ص59-60.**

[19] **هيغل، جورج فريدريش. موسوعة العلوم الفلسفية، ص60-61.**

[20] **هيغل، فريدريش. محاضرات في تاريخ الفلسفة، ص145.**

الاستنتاجات والتوصيات:

توصلنا في هذا البحث إلى جملة من النتائج تعلقت بطبيعة العلاقة بين العلم والفلسفة عند هيغل فوجدنا أن علاقة الفلسفة بالعلم عند هيغل قد احتلت مساحة أساسية في نظرته العامة لطبيعة العلم من جهة أولى وطبيعة الفلسفة من جهة أخرى، وفي هذا السياق يبرز مفهوم النسق بوصفه مفهوماً مركزياً في تحديد العلاقة بين العلم والفلسفة وقد آتينا على هذه المسألة عندما ناقشنا موضوع الفلسفة وموضوع العلم ضمن مفهوم فينومينولوجيا الروح كما أوضحنا مضمون الفلسفة عند هيغل ليكون قاعدة انطلاق كبرى من أجل رسم الخطوط الفاصلة بين الفلسفة والعلوم التجريبية وكذلك نقاط التداخل بينهما.

تكشف النتائج عن التحدي الذي تواجهه فلسفة هيغل في سياقها الحديث، حيث يمكن توسيع البحث من خلال تحليل نقدي للمنهج التجريبي الحديث وعلاقته بفلسفة هيغل. كما يمكن استكشاف تطبيقات فلسفة هيغل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مما يعزز من قيمتها الأكاديمية والتطبيقية.

المصادر والمراجع:

هيغل، جورج فريدريش. علم ظهور العقل ت: مصطفى صفوان، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2001.

كوجيف، الكسندر. مدخل لقراءة هيغل، ت: عبد العزيز بومسهولي، رؤية للنشروالتوزيع ، القاهرة، 2017.

هيغل، جورج فريدريش. موسوعة العلوم الفلسفية، ت: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007.

هيغل، جورج.فريدريش. فينومينولوجيا الروح، ت: ناجي العونلّي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2006.

إمام، إمام عبد الفتاح. دراسات هيغلية، دار الثقافة، القاهرة، دط، 1984.

ستيس، ولتر. فلسفة هيغل، المنطق وفلسفة الطبيعة، المجلد الأول، ت:إمام عبد الفتاح إمام، تقديم زكي نجيب محمود،دار التنوير، بيروت، ط3، 2007.

هيغل ، جورج هيغل. محاضرات في تاريخ الفلسفة، مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها، ت: خليل أحمد خليل ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986.

ستيس،ولتر. فلسفة هيغل،فلسفة الروح، المجلد الثاني،ت:إمام عبد الفتاح إمام، تقديم زكي نجيب محمود،دار التنوير، بيروت، ط3، 2005.

كوبلستون،فردريك. تاريخ الفلسفة المجلد السابع من فشته إلى نيتشه، ت:إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016.

سلامة، يوسف. مفهوم السلب عند هيغل، المجلس الأعلى للثقافة، 2001.

مجاهد عبد المنعم مجاهد. هيغل قلعة الحرية، سعد الدين للنشر، القاهرة، 1985.

مونيس، بخضرة. تاريخ الوعي مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دط،دت.

works cited:

-Hegel, Georg Friedrich.The Phenomenology of Mind, translated by Mustafa Safwan, Dar AL taleea, Beirut, ed.3, 2001.

-Kujif, Aleksandar. Introduction To The Reading of Hegel, translated by Abd Al-Aziz Boumsholi, Roueya for publishing and Distribution, Cairo, 2017.

-Hegel,George Friedrich. Encyclopaedia of The Philosophical Sciences, translated by Emam Abd Al-fattah Emam, Dar AL Tanweer, Beirut,ed.3, 2007.
-Hegel,George Friedrich. The Phenomenology of Spirit, translated by Naji Al-Aounli, Arab Organisation for Translation, Beirut,2006.
-Emam,Emam Abd Al-fattah.Hegelian Studies, Dar AL thakafa, Cairo,1984.
-Stace,Walter. Hegel's philosophy, Logic and Philosophy of Nature,vol.I, translated by Emam Abd Al-fattah Emam,presented by Zaki Naguib Mahmoud, Dar AL Tanweer, Beirut,ed.3,2007.
-Hegel,George Friedrich.Lectures on the History of Philosophy, Introduction to the system of Philosophy and its history, translated by Khalil Ahmad Khalil, University Institution for Studies and publishing,Beirut,1986.
-Stace, Walter. Hegel's Philosophy,Philosophy of Spirit, vol.II, translated by Emam Abd Al-fattah Emam, presented by Zaki Naguib Mahmoud, Dar AL Tanweer,Ed.3,2005.
-Copleston,Frederick. A History of Philosophy Volume VII from Fichte to Nietzche, translated by Emam Abd Al-fattah Emam, National Center for Translation, Cairo,2016.
-Salama, Youssef. The Concept of Dispossession according to Hegel, The Supreme Council of Culture, 2001.
-Mojahed, Abd Al-monem Mojahed. Hegel's Castle of Freedom, Saad Al-Din for publishing, Cairo, 1985.
-Munis, Bakhadra. The History of Consciousness:Philosophical approaches to the Dialectic of the Ascension of Consciousness to Reality, Arab Scientific Publishers, Ink,Beirut.